مثل تاريخي

للدفاع عن الحرية الفكرية
في جامعة اميركية

كان التمسك بمعيار الذهب من حيث هو أساس النقد ، مبدأً في منزلة العقيدة ، عند أهل الولايات الشرقية من الولايات المتحدة الاميركية ، وكان جلهم من المحافظين . وفي سنة ١٨٩٧ دعا الدكتور اندروز رئيس جامعة برون ، الى استعمال النقدين الكريمين اي الذهب والفضة (Bimetallism) فساء رأيهُ هذا كثيرين من أمناء الجامعة وأصدقائها . نعم إنهُ لم يعف رسمياً من مهام رآسة الجامعة ، ولكنهُ تعرّض لنقد لاذع من قبل اعضاء مجلس الامناء فلم يسعه إلاّ الاستقالة . وعيّنت لجنة للاجتماع بالرئيس ، لا لتطلب منهُ التخلي عن رأيهِ بل لتطلب الكف عن اذاعتها لئلاّ يضرّ نشرها بمصلحة الجامعة من الوجهة المالية ، وهي معتمدة كما نعلم على تبرّع الموسرين . ولم يكن اساتذة الجامعة طرفاً في هذا الجدال ولكن لم يسعهم السكوت على هذا التعرّض لحرية الرأي . فأعدّوا بياناً ناشدوا فيهِ مجلسَ الامناء الكف عن هذا التعرّض ومما جاء في هذا البيان قولهم : إن عمل الامناء

« قائم على نظرية اذا اصبحت اساساً لعمل واسع النطاق ، أكلت قلب معاهدنا ، وهي نظرية ان نموّ الجامعة من الناحية المادية ، اهمُّ من استقلال الفكر والتعبير المباح رئيسها وساتذتها . وان لمجالس الامناء الحق في ان يقترحوا حدوداً لهذا الاستقلال

« فليست وظيفة الجامعة ان تمثّل طائفة معيّنة من الآراء السياسية او الدينية ، او ان تدعو اليها ، بل ان تلهم الشباب محبة الحقيقة والمعرفة ، وان تمنحهُ بحرية وتسامح وسائل إدراكهما . ووظيفتها ان تتيح تربية قائمة على الحرية لا على التحكم

« إن طلابنا سيعلمون ، ان صمت رئيسهم في بعض الموضوعات شُري شراءً أو فرض عليهِ فرضاً . . . فاذا داخلهم ريب في ذلك فانهم سيشكون في الاساتذة

« ونحن لم نتكلم دفاعاً عن آراء الرئيس المالية لاننا على العموم وعلى مدى فهمنا المسألة مخالفون له فيها . . . . ونحن يهمنا طبعاً نموّ المعهد من الناحية المادية وأشد اهتماماً من غيرنا

بتقدمه واتساعه ، ومع ذلك لا نرى أن نموّه يحقّق ولا نعتقد أن نموّه يمكن أن يحقق ، بالضغط السياسي والانقياد له ، لاننا مؤمنون بان سيّال الحياة في عروق الجامعة هو الحرية لا المال » . وتاريخ هذا البيان أول يوليو ١٨٩٧ وقد وقعهُ أربعة وعشرون من اعضاء مجلس الاساتذة . ولكن الرئيس اندروز كان قد قدّم استقالته ، بعد ما وُجّه اليه من لوم الامناء ، فقال أنهُ عاجز عن تحقيق رغبات الامناء بغير التخلّي عن حرية التعبير التي تمتع هو وزملاؤه بها وأسلافهم من قبلهم

وتوالت البيانات الموجّهة الى مجلس امناء جامعة برون ، وهي تناشدهم استدعاء اندروز وتقليده الرآسة ثانية ونزع وصمة تقييد حرية الرأي عن جبين جامعة برون . وطلب نحو ستمائة خريج من خريجي الجامعة أن يعمل الامناء عملاً من شأنه ابطال التهمة الموجهة اليهم وهي التهمة التي لبابها تقييد حرية البحث والتعبير عن الرأي في جامعة برون . وكتب اساتذة دوائر العلوم الاقتصادية في جامعات أميركية أخرى — ومنهم توسيج في هارفرد وسليجمن في كولومبيا — معربين عن أملهم في أن يمتنع مجلس أمناء جامعة برون عن الاقدام على عمل ما «يمكن أن يفسر بأنهُ تقييد لحرية الرأي في هيئات المعلمين في جامعاتنا . . . لانّ كل بحث اداريّ او تحقيق في سلامة الآراء المعبّر عنها في مسألة ما أو مجموعة من المسائل ، لا بدّ أن يحد حرية التعبير ويميل الى تدمير الاستقلال العقلي ، وتنقص احترام الناس لنتائج البحث» . وتدخل رؤساء الجامعات الاخرى — مثل ليوت رئيس هارفرد وجلمن رئيس جونز هبكنز — فأرسلوا الى أمناء برون بياناً اقترحوا فيهِ عملاً من قبل الامناء يفضي بالرئيس اندروز الى استرداد استقالته

وبعد ثلاثة اشهر أقرّ مجلس أمناء برون باجماع الحاضرين (وكان خمسة من الاعضاء غائبين) توجيه رسالة الى الدكتور اندروز يذكرون فيها رغبتهم في تقييد حرية الرأي أو الحد من مدى معقول لحرية التعبير . وطلبوا الى الرئيس استرداد استقالته . فاستردّها ولبث سنةً في الرآسة ثم استقال ليتفرغ للتأليف

وهذا المثل يذكرنا بقول مشهور للديمقراطي الاميركي العظيم توماس جفرسن وقد قاله في أثناء الاحتفال بتأسيس جامعة فرجينيا سنة ١٨٢٧ . قال : « وتعرفون الحق والحق يحرّركم » — وهو من آيات الانجيل — ثم اتبعهُ بقوله « ستقوم هذه الجامعة على الاعتراف للعقل البشري بحرية لاتحدُّ لاننا هنا لانخشى أن نسير وراء الحقيقة أنى قادنا السير ، ونستطيع في هذا المعهد أن نتساهل مع كل خطإ في الرأي ما دامت حرية تتسع وردّ قوّة »